الفصل الحادي عشر
السلالات في سفر التكوين[١]

١ – مقدمة

يشتق اسم محاضرتي من اسم سفر "التكوين" بالذات في اليونانيّة، ؟ىَّمَمه، الكلمة التي منها تشتق الكلمة الفرنسيّة généalogie، أي ذريّة، سلالة، ومثيلاتها في اللاتينية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية وغيرها. في هذه العجالة سنستعرض موضوع السلالات البيبلية بشكل عام، لننتقل بعدها إلى معالجة ذات الموضوع في سفر التكوين بشكل حصري. ولا بد من الإشارة إلى أن بعض البحاثة في هذا المجال قد شكلوا مصدرًا أساسيًا لنا، نخص منهم الأب جان لويس سْكَا، وويلسون، وروبنسون[٢]

٢ – ما هي السلالات ؟

السلالات هي ذكريات نسلٍ فردٍ أو جماعة متحدِّرَين من جدّ واحد أو أكثر. خارج إسرائيل، هناك سلالات في الأدب الشرق أوسطي القديم، ولدينا شواهد على ذلك أولاً

(١) هناك العديد من المقالات ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر :
"Genealogy, Genealogies", in *Anchor Bible*, vol. 2; R. R. Wilson, "The OT Genealogies in Recent Research", *JBL* 94 (1975) 169-189; B. Renaud, "Les généalogies et la structure de l'histoire sacerdotale dans le livre de la Genèse », *RB* 97/1 (1990) 5-30; R. B. Robinson, «The Literary Functions of the Genealogies of Genesis », *CBQ* 48 (1986) 595-608; Richard S. Hess, « The Genealogies of Genesis 1-11 and Comparative Literature », *Bib* 70 (1989) 241-254; M. D. Johnson, *The Purpose of the Biblical Genealogies* (SNTSMS 8; Cambridge 21988.

(٢) أنظر مؤلَّف كلٍّ منهم في لائحة المراجع في آخر المقال.

في لوائح ملكيّة في بلاد ما بين النهرين، ثم في نصوص من الألف الثاني، تدور حول التنظيم السياسي وحول تاريخ الأموريين. ويتضمن العهد القديم حوالي خمسًا وعشرين سلالة متنوعة البنية، ممّا يوحي بأن السلالة كانت تلعب دوراً هاماً في حياة إسرائيل وفكره.

٣ – دراسة لغوية

إن أكثر كلمة معبّرة عن السلالات في العبريّة هي "توليدوت" (תולדות)، ويُضاف إليها مختلف الأفعال والأسماء المشتقّة من الفعل "يَحَسْ" (יחש)[٣]، كما في نح ٧:٥ حيث نقرأ: "كتاب سلالة" (ספר היחש). أما كلمة "توليدوت" فهي مشتقة من الفعل "يلد" (ילד)، أي "ولد"[٤]، ويبدو أنها تعني حرفياً "التسلسل الذي تنتج عنه ولادة شعب".

يستعمل الكلمةَ بنوع خاص الكاتبُ الكهنوتيُّ في سفر التكوين للتقديم للسلالات التي ترمي إلى إعطاء الكتاب بنية أدبيّة:

"هذا كتاب سلالة آدم" (تك ٥:١)؛ "هذه سلالة بني نوح" (١٠:١)؛ "هذه سلالة سام" (١١:١٠)؛ "هذه سلالة تارح" (١١:٢٧)؛ "وهذه سلالة إسماعيل" (٢٥:١٢)؛ "وهذه سلالة عيسو" (٣٦:١، ٩).

خارج سفر التكوين، تُستعمل كلمة "توليدوت" (תולדות) للتقديم للسلالات أو لاختتامها:

"وهذه أسماء بني لاوي بحسب سلالاتهم" (خر ٦:١٦): "تلك عشائر اللاويين بسلالاتهم" (٦:١٩)؛ "أسماء بني إسرائيل... على حسب مواليدهم" (٢٨:١٠)؛

(٣) أنظر الفعل "يَحَسْ" W. Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament* (Clarendon Press : Oxford 1979) 404.

(٤) أنظر الفعل "يَلَدْ" W. Gesenius, *A Hebrew*..., pp. 408-410.

"وهذه سلالة هارون وموسى" (عد ٣:١)؛ "وبنو يوئيل... في الانتساب بحسب مواليدهم" (١أخ ٥:٧).

ليس كل سلالات العهد القديم هي مدرجة بهذا الشكل. بسبب ربط الكلمة بالتقديم وبالاختتام، فهي تأخذ أحياناً معنى "الرواية" أو "التاريخ". بهذا المعنى يمكن أن تُستعمل للتقديم لمقاطع إخباريّة هي ليست سلاليّة من حيث الشكل، كما نجد في تك ٢:٤: "تلك هي نشأة السماوات"؛ ٦:٩: "وهذه سيرة نوح"؛ ٢٥:١٩: "وهذه سيرة إسحق"؛ ٣٧:٢: "وهذه سيرة يعقوب"

هناك شواهد على الفعل "يَحَسْ" (יִחַשׂ) فقط في نصوص تعود إلى ما بعد المنفى، حيث تستعمل غالباً بصيغة الفعل لتعني أن شخصًا ما "قد سُجِّل في سلالة"، أو "قد تضمنته سلالة ما" (١أخ ٥:١٧؛ ٩:١).

٤ – لماذا إدراج السلالات في الكتاب المقدس؟

لدوافعَ اجتماعيةٍ أو اقتصاديةٍ أو حربيةٍ أو غيرها، اهتمت شعوب الشرق بالسلالات وما زالت ، وعملت دومًا على حفظ سلسلة الأنساب أو، كما يُقالُ بلغة اليوم، "شجرة العائلة". وكما أوردنا أعلاه، يذكر العهد القديم عددًا كبيرًا منها في سفرَي التكوين والأخبار وفي بعض الكتب التاريخيّة. هكذا، مثلاً، يُذكر المغنّون الذين أقامهم داود مع جدودهم : "هيمان المغني ابن يوئيل بن شموئيل (او صموئيل) بن ألقانة... بن لاوي بن اسرائيل، وأخوه آساف الواقف عن يمينه... بن لاوي" (١أخ ٦:١٨–٣٢).

بدت مسألة السلالات ذات أهمية استثنائية بالنسبة إلى اليهود العائدين من المنفى، إذ كان من الضروري تبيان أصلهم، ولا سيما منهم اللاويون. وهكذا أورد نحميا سجل الأنساب (٧:٥). لكن البعض "لم يقدروا أن يبرهنوا أن عشائرهم تنتسب إلى بني إسرائيل" (نح ٧:٦١؛ عز ٢:٥٩). "وآخرون بحثوا عن سجل أنسابهم فلم يجدوه، فحُرموا من الكهنوت" (نح ٧:٦٤؛ عز ٢:٦٢). ورأى الأشخاص الرئيسيون أن أصحاب الحوليات أوردوا أسماء آبائهم : "عزرا بن سرايا بن عزريا... بن إلعازار بن هارون رئيس الكهنة" (عز ٧:١–٥؛ ٨:٢). ونذكر، على سبيل المثال، أنّ لوقا الإنجيلي

قد أورد في هذا السياق أنّ أليصابات كانت تنتمي إلى بنات هارون (١:٥)، وأنّ حنة كانت ابنة فنوئيل (٢:٣٦).

يوافق البحاثة بشكل عام على أن نسبةَ العهدِ القديمِ الاهتمامَ السلاليَّ إلى بني إسرائيل الأوائل هو متجذّر في البنية الاجتماعيّة للفئات التي كوّنت إسرائيل السابق للملكيّة. إن الروايات التي تعالج هذه المرحلة توحي كلُّها بأن القرابة كانت مبدأ تنظيميًا كبيرًا، ولأجل هذا السبب، أصبحت السلالات التي تستعمل نموذج القرابة، وسيلة هامة للتعبير عن كل أنواع العلاقات الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة. وبسبب استمرار التفكير السلالي في تاريخ إسرائيل المتأخر، فإنَّ فهمَ نموذج السلالة هامٌّ لفهمٍ صائبٍ لأمثلةٍ من هذا النوع في العهد القديم.

٥ – نموذج السلالة وصيغها

في مجتمعات، كإسرائيل القديم، حيث القرابة هي أساس لتنظيم المجتمع، فإنَّ المصطلح السلالي، العائد إلى الحاجة إلى إبراز الربط البنويّة القائمة، يُستَعمَل بطريقة استعاريّة للتعبير عن علاقات اجتماعيّة أخرى، حيث لا توجد بنوّة فعليّة. في هذه المجتمعات، تشكّل السلالات عادة، وفي صيغة شفهيّة، جزءًا من الحياة اليوميّة. هناك ترابطٌ بين صيغة السلالة وبين وظيفتها، يجب أن يُفهم بوضوح من أجل تفسير النموذج السلالي بطريقة صحيحة.

إن الصيغة السلاليّة الأكثر شيوعاً هي تلك التي تتضمّن، وبشكل متكرر، نواةً عائليةً أساسيةً، تقوم على ابنين لهما ذات الأهل. تتفرع سلالة من هذا النوع، كما "شجرة العائلة" التقليديّة، وتُبرز علاقة الابنين مع ذات الأهل. إن لسلالات من هذا النوع مديَان، عاموديًّا وأفقيًّا: عاموديًا، للسلالة عمق، وترسم من خلاله العلاقة بين جيلين؛ أفقيًا، للسلالة عرض، وترسم من خلاله العلاقة بين شقيقين عبر ربطهما بجدٍّ مشترك.

إن السلالات غير المتفرعة هي عادة في صيغة متواصلة على شكل خط (linéaire)، وهي بكل بساطة لوائح أسماء تربط فردًا بجدٍّ أقدم عبر الإشارة إلى صلات القربى التي تربط كل الأسماء معًا.

عندما يرد ذكر السلالات، شفهيًا أو كتابةً، يمكن أن تُبرَز كجزء من رواية أوسع أو في صيغة لائحة بسيطة. في الحالة الأخيرة، تكون لها صيغة كمثل "فُلان ابن فُلان"، أو مثل "أبناء فُلان هم: فُلان وفُلان وفُلان". يمكن السلالات أن تُبرَز في ترتيب انحداري، أي من الأهل إلى الطفل (١أخ ٩:٣٩-٤٤)، أو في ترتيب تصاعدي، أي من الطفل إلى الأهل (١ أخ ٩:١٤-١٦).

تتميز كل السلالات، الشفهيّة منها أو المكتوبة، بعدم التشدد؛ فحيثما وُجدت صيغتان أو أكثر لذات السلالة، يمكن عادة تبيّن اختلافات في علاقة الأسماء ضمن السلالة الواحدة، أو ملاحظة إضافة أو حذف أسماء. سببُ عدمِ التشدد هذا قد يكون أن الأسماء المدرجة غير هامّة، وقابلة بالتالي لأن تُنسى، أو على الأقل أن تُذكر بشكل عابر. من ناحية ثانية، قد تكون السلالة هامّة لفهم السلالات، وقد تُشير إلى تبديلات ذات مدلول في العلاقات الاجتماعيّة. يمكن إيجاد عددٍ من الأمثلة على عدم التشدّد السلاليّ في العهد القديم، ولكن لا يمكن دائماً تحديدُ أسبابِ وجودِ هذا الواقع. في بعض الحالات، قد يكون السبب خطأً نسخيًّا بسيطًا (١أخ ٥:٣٩)، ولكن في تبديلات أخرى في البنية الاجتماعيّة، قد تكون في أساس هذه التحويرات. مثلاً، قد تعكس التبديلاتُ في سلالة عيسو (تك ٣٦:٩-١٤ و١٥-١٩؛ ١أخ ١:٣٥-٣٦) مختلفَ المرامي التي من أجلها خُلقت السلالات أصلاً، في حين أن التغييرات ضمن سلالات قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة قد تعكس إعادةَ ضمٍّ جغرافيةٍ أو سياسيّة (تك ٤٦:٩ و١٢ و١٧؛ ١أخ ٧:٢٣).

٦ – مقارنة بين نسلَي قايين وشيت

– نسل قايين للموت

إنّه نسل مَن "خرج من حضرة اللّه"، ومَن "لُعنَ من الأرض" (٤:١١ و١٦). رج تك ٤١:٤٦؛ ٤٧:١٠؛ خر ٣٥:٢٠؛ أس ٨:١٥: "الخروج من الحضرة". رج أيضاً ١٤:٤: "ومن وجهك أستتر"، بالنسبة إلى معنى التعبير الأخير، راجع: تث ٧:٢٠؛ إر ١٦:١٧؛ أي ١٣:٢٠، وأيضاً أش ٥٦:١٦؛ هو ١٣:١٤؛ عا ٩:٣؛ ٢صم ١٤:٢٨-٣٣ (أباشالوم). هذا التعبير يعني هنا على الأرجح "الرذل"، العيش بعيداً عن اللّه، أي بعيداً عن الحياة، وبالتالي دوماً في خطر الموت.

- نسل شيت (٤:٢٥-٢٦) للحياة

بالنسبة إلى الذهنيّة الكتابيّة، لا يكفي، في حال عمليّة قتل، اكتشاف المجرم ومعاقبته فقط، بل ينبغي بالأحرى تعويض الخسارة، وإحقاق العدل. يأخذ شيت مكان هابيل (٤:٢٥)، وحركة العنف التي أطلق عنانها قايين، ينقلب نسل شيت ضدها، وذلك "بدعوة اسم الربّ"، أي باختيار أكيد للحياة ضد الموت.

٧- سلالات سفر التكوين بالإيجاز(٥)

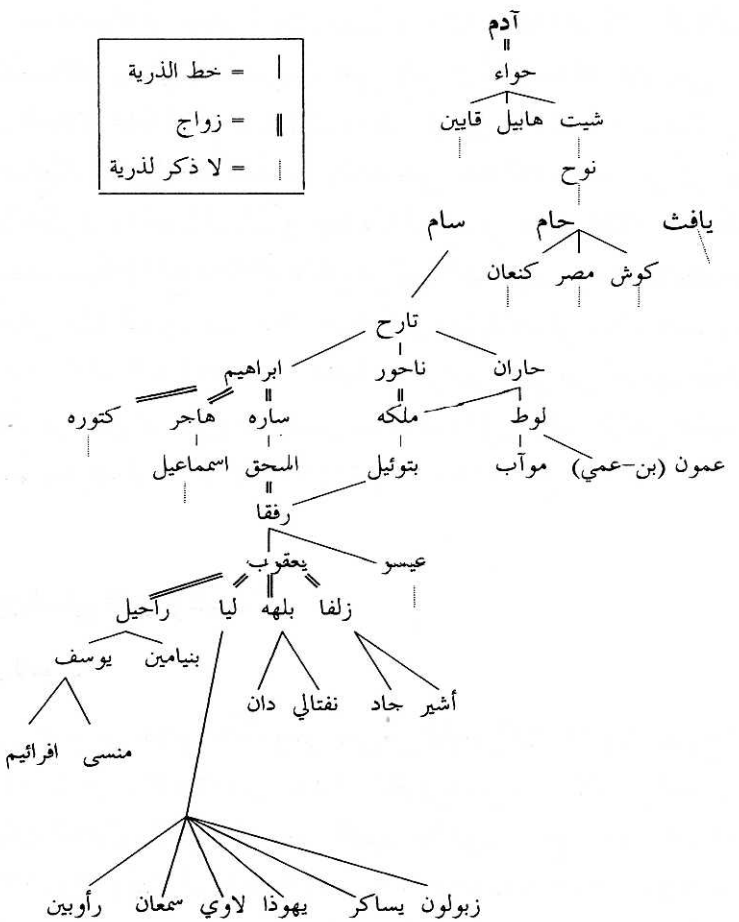

(٥) Diagram by Barry Bandstra, in : www.hope.edu\Bandstra.

٨ – السلالة والإطار الأدبي

بالرغم من إمكانية تفسيرِ سلالاتِ العهد القديم غالباً في مكانها الخاص، فهي في معظم الأحيان مستعملة لأهداف أخرى أيضًا، في إطار سرد أوسع. هذه الأهداف هي غالباً منقولة من الوظائف السلاليّة الأصليّة، وتُبرز أحياناً استعمالاً أدبياً آخر لمادةٍ موجودةٍ قبلاً. المثل الأوضح لهذا الأمر هو استعمال الكاتب الكهنوتي للصيغة "تلك هي السلالات/الأجيال" (**אלה תולדות** – "إِلِّهْ توليدوت")، التي تظهر غالباً في بداية الروايات والسلالات، وبنوع خاص في سفر التكوين (تك ٢:٤؛ ٥:١؛٦ :٩؛ ١٠ :١؛ ١١:١٠ و٢٧؛ ٢٥:١٢ و١٩؛ ٣٦:١ و٤ و٩؛ ٣٧:٢؛ عد ٣:١). وبالرغم من أن البحاثة قد أوحوا في غالب الأحيان بأن هذه الصيغ تتبع موادَّ مستلّةً من كتابٍ سلاليٍّ مستقل، فإنها بذات الوقت ومن المرجّح أنها علامات أدبيّة يستعملها الكاتبُ الكهنوتيُّ ليُعطي بنيةً لروايته. إذا ما أخذنا هذه الصيغ بمجملها، وخاصة السلالات التي تقدم لها هذه الصيغ، فإننا نتبيّن أنها تسلّط ضوءًا على الدافع لدى مدوِّنِ نقلِ اختيارِ اسرائيل وبركتِه، عبر وراثةٍ سلاليّةٍ، من آدم عبر أجداد إسرائيل، وصولاً إلى الكهنوت الإسرائيلي أخيرًا.

إن استعمالاً جديدًا مشابهًا للمادة السلاليّة يمكن مصادفته في خر ٦:١٤–٢٥، حيث ضمّن الكاتب الكهنوتي في روايته جزءًا من النصوص المثبتة للسلالة القبليّة الإسرائيلية. يتوقف السرد السلالي مع أبناء لاوي، ويرمي بوضوح إلى إبراز ميراث موسى الكهنوتي، وهكذا تتدعم سلطته على الشعب، الذي حتى هذه النقطة في الرواية، يرفض الإصغاءَ إلى قائده. في هذه الحالة، نجد أنَّ السلالة الأصلية قد بُترت، بهدف أن تكون في خدمة وظيفة روائيّة خاصة.

أخيرًا، إن المجموعة الواسعة لسلالات ١أخ ١–٩، التي كانت للعديد منها على الأرجح مهماتٌ أخرى في أمكنة أخرى، قد وُضعت في بدايةِ روايةِ سفرِ الأخبارِ حول تاريخ إسرائيل، بهدف أن يَرسمَ صورةً ضمنيّةً لإسرائيلَ التقليدي. بهذا المفهوم الواسع لامتداد إسرائيل يُربط المنفيون العائدون في ١أخ ٩.

حصريًا كسلالة، يمكنها أن تأخذ وظائف جديدة كجزء من رواية أوسع، هكذا أيضًا يمكن روايةٌ ما أن تساعد على تفسير سلالةٍ ما تقليديّة. في تك ٢٩: ٣١–٣٠: ٢٤، وفي ٣٥: ١٦–٢٠، يُبرز الكاتب نصًا حول سلالة قبليّة ثابتة لإسرائيل. مع هذا، في حين أن السلالة الثابتة تشدد عادة على المساواة بين القبائل الاثنتي عشرة، تُقدّم الرواية السلاليّة هذه لفكرة عدم المساواة، من خلال نسبة بني يعقوب إلى أمٍّ كلٍّ منهم: يُنسبُ رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون إلى ليّا، ويُنسب جاد وأشير إلى أَمَتِها زلفة، كما يُنسب يوسف ولاحقًا بنيامين إلى راحيل، ودان ونفتالي إلى خادمتها بلهة. في النموذج السلالي يكون أبناءُ الإماءِ بوضوحٍ أدنى مرتبةً من أبناء الزوجات، وبين أبناء الزوجات يكون المواليد الأُول أسمى من الأبناء الأصغر. عندما تُدمَجُ هذه المعلومةُ السلاليّةُ مع رواياتٍ أقدمَ، مشيرةً إلى رتبة راحيلَ، على أنها زوجةُ يعقوبَ المفضَّلة، عندها يصبح واضحاً أن الكاتب يُبرز روايةً حول سلالةِ القبائلِ الاثنتي عشرة، التي تُعطي أولويّةً ليوسفَ أكثرَ منه ليهوذا، كما هو عادةً الحالُ في النصوص الأخيرة للسلالة.

إن الطرق المتنوعة التي فيها يضمِّن الكاتبُ البيبليُ مادةً سلاليّةً في مؤلَّفِه، توحي أن هذا الأخير قد فهم النموذجَ السلالي، واستطاع أن يستعملها بطريقة خلاقة عبر المرحلة البيبليّة، حتى ولو تبدلت البنية الاجتماعيّة لإسرائيل بصورة متعمدة إبان ذاك الزمان. إن التآلف مع اللغة السلاليّة استمرّ بطريقة جيدة ما بعد مرحلة العهد القديم، وتواصل ليزدهر في الجدل اليهودي المسيحي المتأخر.

٩ – دور السلالات في بنية سفر التكوين

يُقرّ معظم مفسري الكتاب المقدس أن في صيغة التوليدوت عنصرًا لبنية سفر التكوين[٦]. نجد هذه الصيغة "توليدوت" عشر مرات في السفر المذكور (أو إحدى

(٦) R. B. Robenson, "The Literary Functions of the Genealogies of Genesis", CBQ 48 (1986) 595-608.

عشرة مرة، إذا ما أحصينا ٩:٣٦ الذي يُكرّر ١:٣٦) : ٢:٤؛ ٥:١؛ ٦:٩؛ ١٠:١؛ ١١:١٠؛ ١١:٢٧؛ ٢٥:١٢؛ ٢٥:١٩؛ ٣٦:١ (٩)؛ ٣٧:٢[٧].

٩/أ – معضلة تفسير

على خلاف ما يظنه البعض، لكلمة "توليدوت" ذات المعنى في كل أطر النصوص (contextes). فهي تعني "ما أنجبه فلان..." من حين إلى آخر تلي هذه الصيغة لائحة بسيطة من الأسماء، أي سلالة (٥:١؛ ١٠:١؛ ١١:١٠؛ ٢٥:١٢؛ ٣٦:١ و٩). في حالات أخرى، يليها سرد (٢:٤؛ ٦:٩؛ ١١:٢٧؛ ٢٥:١٩؛ ٣٧:٢).

مع هذا، يُعالج سردٌ من هذا النوع دائماً مسألة نسل الشخص المذكور في صيغة "التوليدوت". مثلاً : تُقدّم صيغة ٦:٩ لقصّة نوح وعائلته، وصيغة ١١:٢٧ لقصّة نسل تارَح، أي، بشكل رئيسي إبراهيم، وصيغة ٢٥:١٩ لقصّة عيسو ويعقوب، ابني إسحق، وصيغة ٣٧:٢ لقصّة يوسف وأخوته، أبناء يعقوب.

من الضروري أن نميّز بين "معنى" كلمة ما، وبين "استعمالها" في أطر نصوص مختلفة. لكلمة "توليدوت" معاني نجدها مستعرضة في المعاجم، معانٍ يجب تميزها عن "الاستعمالات" الواقعيّة لذات الكلمة في النصوص التي تظهر فيها.

في الحالة الملموسة لصيغة "التوليدوت"، يبقى "معنى" الكلمة واحدًا، أي "إنجابات فلان". مع هذا، هناك "استعمالان" لذات الكلمة : في بعض الحالات، هي تقدّم لسلالة ما، وفي حالات أخرى، تقدّم لرواية. إذا كان الاستعمال مختلفاً، فإن "المعنى"، يبقى هو ذاته.

كل الصيغ هي للتوطئة، بما فيها صيغة تك ٢:٤أ، لأن كلمة "توليدوت" يتبعها دائمًا اسم المنجب، ولا مرة أبدًا اسم المولود. بالنتيجة، لا تعني تك ٢:٤ : "تاريخ أصل السماء

(٧) المراجع حول هذه الصيغة هي كثيرة. أنظر، على سبيل المثال،

N. Lohfink, "Die Priesterschrift und die Geschichte", *Congress Volume Göttingen 1977* (éd. W. Zimmerli, VTS 29 (Leyde, 1978) 189-255, spécialement p. 205; M. D. Johnson, *The Purpose of the Biblical Genealogies* (SNTSMS 8, Cambridge 21988); B. Renaud, « Les généalogies et la structure de l 'histoire sacerdotale dans le livre de la Genèse », *RB* 97 (1990) 5-30.

والأرض" ("كيف وُلدت السماء والأرض")، بل "تاريخ ما ولدته السماء والأرض". فإن ما تلده السماء والأرض، هو العالم الموصوف في تك ٢:٤-٢٥ : من الأرض، أي من التراب، يكوّن الله المخلوق الأول (٢:٧)، ينبت الأشجار (٢:٩)، ثمّ يكوّن الحيوانات (٢:١٩).

هو أقل ترجيحاً، بالمقابل، أن تستطيع صيغة تك ٢:٤ أن تكون خاتمة رواية الخلق الأولى، وأن تعني : "ولادة السماء الأرض". إضافة إلى الصعوبة المذكورة أعلاه، يجب أن نضيف أن تك ١ لا يتكلّم على "ولادة" الكون بل الخليقة.

٩/ب - تقسيمات ثانويّة

- الأحداث الأهم

كما ذكرنا أعلاه، تقدم بعض الصيغ لسلالةٍ ما (٥:١؛ ١٠:١؛ ١١:١٠؛ ٢٥:١٢؛ ٣٦:١ و٩)؛ البعض الآخر، بالمقابل، يُقدّم لسَردٍ إخباري (٢:٤؛ ٦:٩؛ ١١:٢٧؛ ٢٥:١٩؛ ٣٧:٢). توازي هذه الأخيرةُ الأوقاتِ الأهمَّ من التكوين : خلق الرجل والمرأة (٢:٤)، الطوفان (٦:٩)، قصة إبراهيم (١١:٢٧)، قصة يعقوب (٢٥:١٩)، وقصة يوسف وأخوته (٣٧:٢).

- قبل الطوفان وبعده

تغطي الصيغة كلَّ كتاب التكوين، وللوهلة الأولى لا تبدو أنها تُبرز أيَّ فرق بين قصة البدايات (تك ١١-١)، وبين قصة أجداد إسرائيل (الآباء : تك ١٢-٥٠). يبدو أن سفر التكوين يُبرز، بالمقابل، تقسيمًا آخر : قبل الطوفان وبعده؛ أنظر الصيغة "بعد الطوفان" (**אחר המבול** - "أَحَرْ هَمَّبُّول") في ١٠:١؛ ١١:١٠. استنادًا إلى هذا المقياس، قد يكون جزءًا سفر التكوين هما: ١-٩ و١٠-٥٠.

- بين الطوفان وابراهيم

يتضمن سفر التكوين القليلَ من السرد الإخباري. لمختلف عناصر هذا الفصل هدفٌ واحد، هو تبيان كيفيّة الانتقال من نوح إلى إبراهيم. إن قصصًا كتلك التي تَروي سُكْرَ نوح (٩:١٨-٢٩) أو برجَ بابل ١١:١-٩) تعدُّ لمجيء إبراهيم.

يُفسّر تك ٩:١٨-٢٩ لماذا لُعِنَ كنعانُ، ابنُ حام، وخسر بالتالي كلَّ امتيازاته، في حين أن سامًا، جدَّ إبراهيم، قد بورِكَ، واحتلّ بالتالي مركزًا أوليًا في تاريخ الخلاص (تك ٩:٢٦)؛ رج ١٠:٢١-٣١؛ ١١:١٠-٢٦).

يُعِدُّ تك ١١:١-٩ (برج بابل) لهجرة تارحَ وإبراهيم. بدءًا من تك ٩:٢٠-٢٩، لا تعود النصوصُ تهتمُّ بقصة الكون بحدِّ ذاتها، بل تُقدِّم لمبدأ الانتقاءِ الذي يبلغ ذروتَه في دعوةِ إبراهيم (تك ١٢:١-٣). مثلاً، تبتدئ "لائحةُ الشعوب" بسلالةِ يافث، ثم بسلالة حام، وأخيرًا بسلالة سام، بالرغم من أن هذا الأخيرَ هو البكر.

بعد ذلك، يتضمّن تك ١١:١٠-٢٦، سلالةَ سام وحده، لأنه جَدُ تارح وإبراهيم. لقد وُضعت هذه المختارات خصيصًا من أجل إبرازِ وجهِ سام، والإعداد لوصول إبراهيم.

بالنتيجة، هناك أسباب وجيهة لإدخال قَطْعٍ بين تك ١:١-١٩:٩، وبين ٩:٢٠-٥٠:٢٦. إن النصوص القديمة هي أقل ميلاً إلى القِسمة والبُنيةِ منها إلى التوحيد : فهي تهتم بـ "فن العبور (passage)". في الحالة الملموسة لسفر التكوين، نَعبُرُ شيئًا فشيئًا من قصّة الكون (تك ١-٩)، إلى قصّة إبراهيم ونسله (تك ١٢-٥٠)، مع "وصلة" تك ٩:٢٠ - ١١:٢٦ (٨)

- عناصر أخرى لبنية تاريخ الآباء تك (١٢-٥٠)

في الإطار العام لـ"توليدوت"، من الضروري إدخال بعض التقسيمات الثانويّة الأهم. الأول، كما رأينا أعلاه، يميّز بين الكون السابق للطوفان، وبين الكون الذي تلا الطوفان. في هذا القسم الثاني، تحتل قصة الآباء أو قصة أجداد إسرائيل (١٢-٥٠) مكانًا مميزًا. في هذه الحالة، العناصر التي تفيد في البنية هي مختلفة. المقصود هو بعض الخطب الإلهيّة التي لها كأفقٍ تاريخُ إسرائيل أو تاريخُ أحدِ الآباء.

(٨) في كل الأحوال، من المناسب التشديد على أن صيغ "التوليدوت" تجعل من سفر التكوين وحدة أدبيّة.

١٠ – وظيفة صيغة "التوليدوت" في تاريخ الآباء

يضم تاريخ الآباء، إلى جانب الاهتمام بالأرض، الاهتمامَ بالنسل. في هذه الحالة، المعضلة هي معرفة مَن هو وارث الوعد. من جديد، ترتبط هذه المعضلة بصيغة "التوليدوت" وبوظيفتها. هنا تتداخل مسائل السلالة مع مسائل الأرض. يمكننا حتى الكلام على أبعاد جغرافية وسياسيّة لاهوتيّة للسلالات. من أهداف سلالةٍ ما هو بالتأكيد تحديدُ الانتماء إلى عائلة، إلى إتنيّة أو إلى شعب(٩). في سفر التكوين، هدف صيغة التوليدوت هو إبراز حدود شعب إسرائيل، ووضعِهِ في الكون، أي في الخليقة. توازي مختلفُ الصيغِ الأوقاتَ الأهمَّ من "تاريخ تحديد إسرائيل" هذا. في الواقع، في القديم، للسلالة غالباً هدف "إضفاء الشرعيّة" على امتيازات الأفراد، والجماعات، والشعوب.

تقدّم هذه الصيغ لسلالات أو لروايات، وهما الوسيلتان المستعملتان في سفر التكوين لتحديد مَن ينتمي أو لا إلى الشعب المختار.

– تك ١–٩ يصف أصل الكون والبشريّة. الخطيئة والعنف هما سبب الطوفان (تك ٦–٩). يشكل إسرائيل بالتالي جزءًا من أممِ ما بعد الطوفان. بعدَ الطوفان، تضع السلالاتُ في الواجهة وجهَ سام، الجدَ البعيدَ لشعب إسرائيل.

– تتمحور قصة إبراهيم (تك ١٢–٢٥) حول مسألة رئيسيّة، هي التالية : مَن يكون وريثَ الوعد؟ هناك مرشحون عديدون متتالون : لوط (تك ١٣)، إليعازر (تك ١٥)، إسماعيل (تك ١٦ و ٢١). سيُستبَعَد الجميع لصالح إسحق (تك ٢١ : ١–٧؛ رج تك ١٥ : ١–٦؛ ١٧؛ ١٨ : ١–١٥)(١٠).

(٩) حول مختلف وظائف السلالات، أنظر، على سبيل المثال :
R. R. Wilson, "The OT Genealogies in Recent Research", *JBL* 94 (1975) 169-189; Id. *Genealogies and History in the Biblical World*, New Haven, CN, 1977; M. D. Johnson, *The Purpose of Biblical Genealogies*; B. S. Childs, *Introduction,* pp. 152-153.

(١٠) L. R. Helyer, "The Separation of Abraham and Lot : Its Significance in the Patriarchal Narratives", *JSOT* 26 (1983) 77-88.

– سيكون لإسماعيل نسله ("توليدوت"، تك ١٢:٢٥–١٨)، ولكن المقصود هو نسلٌ جانبيٌ، وليس نسلاً رئيسيًا. تسمح السلالةُ والتاريخُ بفهم وضع الشعوب المجاورة وبتحديدها بطريقة أفضل، مثل الموءابيين والعمّونيين (نسلاَ لوط)، والإسماعليين والإسرائيليين (نسلاَ إسماعيل وإسحق).

إضافة إلى ذلك، يبرهن تك ١٢–٢٥ أن أرض الميعاد هي أرض كنعان. سيكون بالتالي إسحق وريثَ أرض كنعان، في حين أنَّ نسلَي لوط سيقيمان في موآب وفي عمّون (تك ١٩)، ونسلَ إسماعيلَ في الصحراء، جنوبِ بئر سبع، ليس بعيدًا عن مصر (تك ٢٥:١٨؛ رج ١٦:١٤؛ ٢١:١٤ و٢١).

– تحدد قصة يعقوب (تك ٢٥–٣٥) إسرائيل بالنسبة إلى كلّ من عيسو والأدوميين، نسلَيه، وبالنسبة إلى لابان الآرامي. من جديد، المقصود هو شعوبٌ "ذات قربى" تحتل أراضي ملاصقة. عيسو هو توأم يعقوب، ولابان عمّه. ولكنّ يعقوبَ وحدَه هو وريثُ العهد، مع أنه ينال البركةَ بطريقةٍ تخلو من الصدق (تك ٢٥ و٢٧).

– تسمح القصة بتثبيت دقيق لحدود الأراضي التي يحتلها كلّ واحد. يهدف قَسَم لابان ويعقوب في ٣١:٥١–٥٤ الذي يختم كل أحداث تك ٢٨–٣١، إلى أن يرسم الحدود وبدقة بين مختلف الأراضي. يؤكد تك ٣٦:٦–٨ وبكل وضوح أن عيسو لم يُقم أبدًا في أرض كنعان، بل في جبل سعير. بالمقابل تخص أرض كنعان يعقوب (٢٨:١٣–١٤؛ ٣١:٣–١٣؛ ٣٢:١٠).

– تُجيب قصة يوسف على سؤال أخير : لماذا هناك اثنتا عشرة قبيلة ؟ في تك ٣٧، ينشأ صراع جديد بين "أخوة". هل يكون يوسف الوريثَ الوحيد، كإسحق ويعقوب ؟ تُفسّر الرواية لماذا كلّ الأخوة (أو تقريباً) قد نالوا البركة في تك ٤٩، وسيكونون بالتالي كلهم أجدادَ شعب إسرائيل.

بعد المصالحة بين الأخوة، تنزل كلّ العائلة الى مصر. مع هذا، تحتوي الآيات الأخيرة من القصة الوعد بالعودة إلى أرض كنعان (٥٠:٢٤)[١١]. تُفيد قصة يوسف بالتالي كصلة وصل بين سفرَي التكوين والخروج.

(١١) بدءاً من تك ١:١٢–٣، تصبح "الأرض" موضوعاً رئيسياً في تاريخ الآباء.

خاتمة

من خلال جولتنا الوجيزة حول لوائح السلالات في الكتاب المقدس عامة، وفي سفر التكوين خاصة، تبيّن لنا أنَّ هذه اللوائح كانت قيد الاستعمال بين قبائل إسرائيل منذ زمن الآباء، وقد وُضعت ردًّا على الحاجة العمليّة لمعرفة أهميتها العدديّة المتنوعة، إن في مجال التجنيد، أو الضرائب، أو في ما يتعلق بمسائل قضائيّة، مثل ممتلكات القبائل وحقوقها. كما رأينا أعلاه، نجد العديد من هذه اللوائح في سفر العدد : لائحة الإحصاء (عد ١:١-٤٧)، لائحة قبائل اللاويين (عد ٣:١-٥١)، ولائحة فرقِهم (عد ٤:١-٤٩)، ولوائح الإحصاءات الجديدة (عد ٢٥-٢٦). إن المقدمة الطويلة لسفر أخبار الأيام، الذي حُرِّر بهدف إظهار أن البركات الإلهيّة المعطاة من الله للبشر، قد تحققت بالطريقة الفضلى بإبراهيم وبنسله، لم توضَع إلا على أساسِ واحدةٍ من السلالات (١أخ ١-٩). من بين هذه الأخيرة، إنَّ الأولى حصرًا ، المرسومة على مثال ما هو مُستعمل في الفصول الأحد عشر الأولى من سفر التكوين، والمقسومة بالتالي إلى مرحلتين، سابقة للطوفان ولاحقة له (تك ٦-٨)، هي التي تنقل إلينا سلالات الجنس البشري من آدم حتى بني إسرائيل (١أخ ١:١-٢:٢). تلي هذه، وهي الأساسيّة، الأخرى، وكلها تتعلق بمختلف قبائل إسرائيل (٢:٣-٩:٤٤)، بدءًا بسلالة يهوذا (٢:٣-٤:٢٣) فقبيلة أشير (٧:٣٠-٤٠)؛ وبعض منها إضافيّة (٨:١-٩:٤٤). إنها "السلالات"، بالتالي التي تندرج في مؤلَّف كاتب سفر أخبار الأيام، كوسيلة لتمثيل مختلف الشعوب ومختلف القبائل التي تؤلف البشريّة برمّتها.

هكذا، من خلال كلمة "سلالات"، يدلّ تحرير سفر التكوين على كلّ من "الروايات" العشر، وكلّ واحدة منها تتعلّق بفئة عرقيّة، خمس منها هي "قصص" ("توليدوت") متعلّقة بالأزمنة السابقة لإبراهيم (تك ٢:٤ السماء والأرض؛ ٥:١ آدم؛ ٦:٩ نوح؛ ١٠:١ أولاد نوح؛ ١١:١٠ سام)، وخمس متعلّقة بالأزمنة التالية له (تك ١١:٢٧ تارح وإبراهيم؛ ٢٥:١٢ إسماعيل؛ ٢٥:١٩ إسحق ويعقوب وعيسو؛ ٣٦:١ نسل عيسو؛ ٣٧:٢ يعقوب ويوسف وأخوته).

ونشير إلى أن سفر التكوين يصف قايين كما أيضاً نسله القاينيين (تك ٤:١٤) وكأنهم وثنيون، إن جاز التعبير. بخطوط حياةِ ترحالٍ يظهر الإسماعيليّون كما أيضاً جدهم إسماعيل (تك ١٦:١٢)، وبخطوط حياة مثيرة وشبقة تظهر حياة لوط الذي ارتكب خطيئة سفاح القربى، كما أيضًا الموآبيون المولودون من سفاحه (تك ١٩:٣٧ي). وهكذا يُنظَر أيضاً إلى سفاح رأوبين مع دينا عشيقة أبيه (تك ٣٥:٢٢)، كمغذّ ودافع إلى نجاسة الرأوبيين (تك ٤٩:٤)، بذات الطريقة هو تهوّر شمعون ولاوي كمغذّ ودافع إلى أضرار أهل شكيم (تك ٣٤)، سبَّب تفسُّخ وتشتّت القبيلتين (تك ٤٩:٥-٧، بينما بالمقابل تبنّي يعقوب لابنَي يوسف، إفرائيم ومنسّى، هو الذي خلق وضعًا لا جدال فيه من حيث امتياز القبيلتين (تك ٤٨:٥-٢٠). أيضًا كان الصراع المدعوم بينهما من قِبل الأخوين يعقوب وعيسو (تك ٢٦:٣٤-٣٣:١٩) الذي تواصل في العداوات المتلاحقة بين الشعبين، الإسرائيليين والآدوميين (تك ٢٧:٣٩ي).

إن الوحدة الوراثيّة لكلّ من "التواريخ" العشرة ("توليدوت"، "سلالات") التي تُعطي بنية للرواية يمكنها أن تبقى، وقد بقيت بالفعل، ثانويّةً بالنسبة إلى الوحدة التي بها، واستناداً إلى روح الرواية، كل الناس يشكلون فريقاً أو بالأحرى "عائلة"، مع حقوق وواجبات متساوية أمام الله؛ كلهم خطأة (تك ٤:١-١١:٣٢)، ويجب تخليصهم جميعهم (تك ١٢:١-٣). النقطة الأساسيّة هي هذه. وهذا ما يبان، من ناحية ثانية أيضًا من المعنى، بين ما هو فردي وما هو جماعي، الذي وفقه يُستعمل التعبير "آدَم"، "إنسان"، أيضاً في روايته. باستثناء رواية الخلق (تك ٢:٤ب-٣:٢٤) فإن معنى التعبير هو تقريبًا دائمًا جماعي، يُشير إلى طبيعة الإنسان الخاصة، على نقيض طبيعة الحيوانات (تك ٦:٧؛ رج خر ٢٥:٩ صف ١:٣؛ زك ٢:٨)، أو أيضًا على نقيض طبيعة الله (أش ٣١:٨) . هكذا يمكن "آدم"، أن يكون شعبًا بكامله (١صم ٢٥:١٠) أكثر منه فردًا واحدًا خاصًا (تك ١٦:١٢)، أو، بمعنى غير محدّد، أي شخص بشري (لا ١:٢؛ نح ٢:١٠؛ الخ). هكذا هو أيضًا جماعيٌّ وبشكل دائمٍ تقريبًا التعبير المشابه "إنوش" (٤٢ مرّة). إن التطبيق بالتالي الذي قام به الكاتب اليهوهي للتعبير الشائع الذي يدل على كل

الناس بشكل عام، أي "آدم"، للدلالة على الاسم العلم لأول إنسان، لا يتضمن بالضرورة نظريّة الذريّة الواحدة. إنها تظهر كالتعبير الذي يفيد أن كل البشر، كونهم بشراً، حتى ولو مختلفين باللون والولادة، لهم خطوطٌ مميّزة من "صورة الله" (فهم، إرادة، حريّة)، هي عطيةٌ من الله.

الأب أيوب شهوان

مراجع

- Abel, E. L., "The Genealogies of Jesus ho Christos", *NTS* 20 (1973-74) 203-10.
- Johnson, M. D., *The Purpose of the Biblical Genealogies with Special Reference to the Setting of the Genealogies of Jesus* (Cambridge, U.K. London-New-York : Cambridge University Press[2] 1988).
- Malamat, A. M., "The King Lists of the Old Babylonian Period and Biblical Genealogies", *JAOS* 88 (1968) 163-73.
- Orsatti, M. *Un saggio di teologia della storia. Esegesi di Mt 1.1-17*, Brescia : Paideia, 1980.
- Robinson, R. B., "Literary of the Genealogies of Genesis", *CBQ* 48 (1986) 595-608.
- Sasson, J. M., "A Genealogical 'Convention' in Biblical Chronography ?", *ZAW* 90 (1978) 171-85.
- Tatum, W. B., "The Origin of Jesus Messiah" (Matt. 1:1,18a) : Matthew's Use of the Infancy Traditions", *JBL* 96 (1977) 523-35.
- Tengström, S., *Die Toledotformel* (Lund 1982).
- Waetjen, H., C., "The Genealogy as the Key to the Gospel according to Matthew", *JBL* 95 (1976) 205-30.

- Wilson R. R., "The Old Testament Genealogies in Recent Research" *JBL* 94 (1975) 169-89.
- Wilson, R. R., *Genealogy and History in the Biblical World.* (Yale Near Eastern Researches 7. New Haven-London : Yale University Press, 1977.